الجملة التفسيرية

بين الاتجاه الشكلي والوظيفي في النص القرآني

المدرس المساعد
رجاء محسن حمد

الجملة التفسيرية بين الاتجاه الشكلي والوظيفي في النص القرآني

المدرس المساعد
رجاء محسن حمد

التمهيد:ـ

يعد التفسير مظهراً من مظاهر العدول الكمي، إذ انه يمثل بنية نصية تقوم على عرض المعنى بصورتين، أولهما مبهمة مجملة تقديم السياق، يعقبها بيان المبهم وتوضيحه، ولما كان التفسير يمثل ظاهرة اسلوبية بارزة لتقديم المعنى بصور عديدة والكشف عن خفايا دلالية وتركيبية فإن هذه الظاهرة تنوعت في عرض صور التفاعل الذي يستند في أحد طرقه الى مبدأ الخفاء والغموض الذي يقابله الوضوح والبيان في سياق منتظم والذي أكثر ما يكون من خلال الجملة ((التفسيرية، وتسمى المفسرة، والمفسرة لا محل لها من الاعراب هي الكاشفة لحقيقة ما تليه من مفرد أو مركب، وليست عمدة))[1]، إن ما ذهب إليه أغلب النحاة يقتضي بالضرورة إخراج جمل لها وظيفة تفسيرية من حيّز الجملة المفسّرة[❖] على الرغم من انها تؤدي الوظيفة ذاتها، بدعوى أن لها محلا اعرابيا، فهم بذلك يربطون بين الاعراب المحلي ووظيفة التفسير، وذلك حينما اشترطوا كون الجملة المفسرة لا محل لها من الاعراب لاحظوا الناحية الشكلية الموقعية فقط في اختيارهم تسمية هذا النوع من الجمل مع ان لهذه الجمل فوائد دلالية واسلوبية تفوق ما توحي به تسميتها، والحق أن التفسير وظيفة نحوية، ولا علاقة جوهرية له بالاعراب المحلي، فالجملة التفسيرية مصطلح وظيفي وان لكل مصطلح خصوصيته النابعة من أداء وظيفته وأثره في السياق وفي توجيه المعنى واستقراره من خلال السمات التي عرف بها الاستعمال، إذ هو منبثق من الوظيفة الايضاحية البيانية التي يؤديها هذا النوع

من الجمل، فثمة مناسبة تامة بين دلالة المصطلح اللفظية وبين وظيفته النحوية في الكشف والاظهار.

وعند الموازنة بين ما أقره جمهور النحاة، وما ذهب اليه الشلوبين (٦٤٥هـ) بقوله: ((إن الجملة التفسيرية تكون بحسب ما تفسره فإن كان له محل من الإعراب، فهي لها محل كذلك والاّ يكن لما تفسره محل فلا محل لها))[٢] تكشف لنا أن الشلوبين قد وسّع مفهوم الجملة التفسيرية ليشمل جميع الجمل التي تؤدي هذه الوظيفة بغض النظر عن موقعها الاعرابي، وهذا ما ينطبق تماما مع المنهج الوصفي في دراسة اللغة، وبذلك يكون قد خرج على المنهج الشكلي الذي يربط بين الوظيفة والموقعية، لينظر الى الجانب الوظيفي للمصطلح، فالجملة التفسيرية لا تتقيد بصيغ نحوية وبنى تركيبية خاصة انما سندها الاساس هو المعنى الذي من خلاله ينكشف دور البنية النحوية في توجيه مسار المعنى وبلوغ غايته، وإذا أصبح المعنى هو الفيصل في ميدان التباري للوصول اليه، فإن هذا يؤدي الى تداخل الوظائف بين أنواع الجمل وبخاصة التفسير الذي تتلاقى فيه المعاني بوصفه يمثل المرتكز الشكلي والمعنوي، وبالتالي ضم الى الجملة المفسرة جملاً تؤدي دوراً وظيفياً مشتركاً بين التفسير والباب النحوي المشتقة منه وعلى أساس من هذا سيقف البحث عند الجمل التي تتحد وظيفيا مع الجملة المفسرة وتشمل (الحالية والبدلية) وأخرى لها دور وظيفي مزدوج بين (التفسير ودلالة أخرى) في إطار الجملة القرآنية وعلى النحو الآتي: -

١. الجملة الحالية:

تُعرّف الجملة الحالية بأنها تلك : ((الجملة التي تبين هيئة صاحبها))[٣]، ولابدّ فيها من رابط يربطها بصاحب الحال سواء أكان هذا الرابط حرف الواو أم الضمير[٤]، ومهما يكن فإن للجملة الحالية دورا وظيفيا يتلخص ببيان الحالة

التي عليها صاحب الحال، فهي تشبه الجملة التفسيرية من حيث الوظيفة، إذ إن كلا منهما يمثل بنية تركيبية ودلالية تعمل على ترسيخ المعنى والاحاطة بجوانبه كافة التي يجسدها المنطوق وتتوارى خلفه العبارات لتصل الى الاذهان لغاية إيحائية فنية مقصودة لذاتها، حيث أن كل وحدة من وحداتها تفسر جانبا للمتقدم وإجمالا للتالي المتبوع ببيان لاحق، وذلك لقصد تأكيد المغزى والتأثير في نفس المتلقي وإحاطته فلا يترك حيزا إلا يشغله، ومن ذلك

قوله تعالى ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٥].

فجملة (يجره) في موضع الحال والضمير البارز فيها هو الرابط بين جملة الحال وصاحبها (الرأس) فهو الذي يعود عليه الضمير وهو مضاف إليه قام مقام المضاف بعد حذفه ((أي بشعر رأسه إليه بذوائبه وذلك لشدة ما ورد عليه من الأمر الذي استفزه))[٦] لظنه ان هارون قصّر في زجرهم فضلا عن إعلام قومه بأنه غضب من هذا الفعل غضبا قد تجاوز حد الوصف والذي يبدو أن هذه الجملة قد أدت وظيفة مزدوجة في هذا السياق إذ عملت على إزالة جوانب الغموض الذي يكتنف النّص المتقدم عليها من جهة لأن وجوه (الأخذ) كثيرة، فبُين بأحد مُحتملاته وبيان حال من (أُخِذ) من جهة أخرى بكون هارون قد قصّر ـ ظنا من موسى ـ في كفهم عن اجتثاث الدين من أصله بعبادتهم العجل، فتضافرت دلالة الحال والتفسير في وظيفتهما معا ليؤلفا وحدة متكاملة تعمل على توجيه مسار المعنى نحو المقصود من ناحية تعلقه بفهم المتلقي وتمثل تلك الوحدة حركة تقدمية يستدرك فيها على اللاحق أو تسهم في ترسيخ المعنى وبيان الجوانب الفنية والبلاغية وقد اتضح ذلك في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا

أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الأَبْصارِ﴾[٧].

حيث يتجلى سر اختيار المفردة وأثرها في الاعجاز البياني للقرآن الكريم، فدلالة الرعب جاءت متوافقة مع مسيرة الحدث والزمان، وهي أبلغ وأوقع في نفس المتلقي من الخوف في هذا المقام فالرعب ((الانقطاع من امتلاء الخوف))[٨] أي الامعان والمبالغة في الخوف، أما الخوف فهو ((توقع مكروه عن إمارة مظنونة أو معلومة))[٩] وهو لا يتوافق مع حجم الخوف والفزع الذي اعتراهم والذي تكشف عنه أفعالهم حيث عمدوا الى بيوتهم تخريبا وهدما ليستخلصوا منها الجيد من الخشب لسد الثغور على المسلمين وهذا دليل على حالة الاضطراب واختلال الفكر الذي أحدثه ذلك الرعب في قلوبهم فقوله (يخربون بيوتهم بأيديهم) تفصيل وإيضاح للمجمل المتقدم وتخصيص له بغياب أداة الربط لأن التلاحم الدلالي والترابط السياقي أغنى عن وجود أداة العطف، إذ لا توجد مغايرة في السياق، فالرعب يشمل فعل (التخريب) الذي كشف عن حجم الخوف الذي اعتراهم، فضلاً عن ذلك فقد أفصحت الجملة عن حالهم بعد إصابتهم بهذا الرعب بكونهم مخربين لبيوتهم، وهكذا حققت البنية التركيبية دلالتين في السياق، فعلى الرغم من أن الوظيفة الدلالية المنبثقة من البنية التركيبية تغلب على الجانب الموقعي الملزم به، فإن الناحية الموقعية تكون مرتهنة بتكامل المعنى وتمامه.

٢. جملة البدل:

البدل هو: ((التابع المقصود بالحكم بلا واسطة))[١٠]، وإنما ذكر المتبوع قبله لنحو من التوطئة والتمهيد[١١]، ليكون بذلك كالتفسير بعد الابهام[١٢]، ويسميه الكوفيون الترجمة والتبين والتكرار[١٣] والمراد (بلا واسطة) إخراج

عطف النسق من التعريف[١٤]، فالواسطة هنا هي أداة العطف وعلة إسقاطها تكشف عنها وظيفة البدل من حيث يقوم بايضاح المبدل منه، وتفسيره بما يزيل عنه كل لبس أوتوهم قد يعتريه[١٥]، وقد يرد البدل جملة يقوم بتخصيص عام أو تفصيل مجمل أو تعيين محتمل، وذلك إذا كانت الجملة الثانية أوفى بتأدية المقصود من الأولى، فالمقتضى للإبدال إذن هو ((كون الأولى غير وافية بتمام المراد بخلاف الثانية، والمقام يقتضي اعتناء بشأنه لنكتة، ككونه مطلوبا في نفسه))[١٦] لنحو من التنبيه والتأكيد والتفصيل والبيان، وبذلك تتقارب مع الجملة التفسيرية في الدور الوظيفي لذا حُملت بعض الجمل على الوجهين البدلية والتفسير ضمن السياق الواحد، كقوله تعالى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[١٧].

الجملة (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) في موضع بدل البعض تخصيصاً لأعظم أحوال سوء العذاب، فالبدل هو بيان للشيء (المجمل) المبدل منه أو قد تكون جملة تفسيرية لفعل السوم، فسوء العذاب يشمل فعلي (التذبيح والاستحياء) إذ تقدم فيه فعل التذبيح على الاستحياء لقصدية نابعة من السياق، فللمتقدم طاقة تعبيرية ووظيفية توضيحية تعرف بالمتقدم وتنوه عن اللاحق الى جانب ان التقديم مرتبط بالتصور الذهني ((إذ الأصل في ترتيب ألفاظ الكلام أن يكون قائما على ملاحظة مالها من ترتيب وجودي في الذهن، فمن المؤكد ان بعضها يكون أسبق تصوراً ووجوداً في الذهن من الآخر والنفس تميل وتتشوق لذكر ما تسبق معرفته ووجوده في الذهن))[١٨].

وعلى كلا الرأيين فإن هذه الجملة قد أدت وظيفة تفسيرية بيانية اتضح من خلالها ما أجمل وأبهم من أصناف العذاب.

وقد تتعدى وظيفة الجملة البدلية توجيه المعنى وأمن اللبس والابهام الى التوضيح والابانة للمعنى والاستدراك على كلام سابق ليعيد استقامة المعنى واستقراره كما في قوله تعالى ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَنۡ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[١٩].

فلما نفى سبحانه أن يكون القرآن مما تتنزل به الشياطين ردا على الذين زعموا ذلك بيّن على أي من الخلق تتنزل، وقد استعمل السياق الأداة (هل) التي يراد بها هنا معنى التوبيخ، لأن فيها ((قوة وشدة بالغة في الرد على الكفرة المفترين))[٢٠] والجملة (تنزل على كل أفاك أثيم) تحتمل أن تكون تفسيرية لمضمون الجملة المتقدمة عليها أو بدل قامت بوظيفة بيانية مهمة من خلال تحديد هوية ما صدق عليه اسم الاستفهام (من) فهو المتنزل عليه ((من الكهنة والمتنبئة وتخصيص له بهم بحيث لا يتخطاهم الى غيرهم))[٢١] وفي تكرار الفعل (تنزل) في جملة التفصيل للمبالغة في توبيخهم والملاحظ ان صور التكرار في التعابير القرآنية تتنوع لتؤدي وظيفة بيانية تتعلق بسياقات ماضوية أو مستقبلية تتحدد من خلال مقتضى الحال ومضمون الحدث الذي يعمد الى استعادة تراكيب وألفاظ معينة تمثل بؤرة ارتكاز تشد ما حولها، ولاسيما في المواقف التي تكون عرضة لمناقشات وجدالات عديدة فيأتي التكرار ليضع حدا لها ويقف على المعنى المقصود محققا غايته وعلى كلا الاحتمالين (البدل أو التفسير) فإن الجملة قد أدت وظيفة تكاملية في توجيه مسار المعنى وبلوغ غايته من خلال بيانها لما أبهم من الكلام المتقدم عليها.

٣.جملة الخبر (المفسرة لضمير الشأن):

إذا قصد المتكلم أن يستعظم السامع حديثه وتتوجه الاسماع والنفوس اليه لا يذكره مباشرةً خالياً مما يدل على ما يستحقه من أهمية، وإنما يقدم له بضمير

يسبقه للأشعار بأهمية الحديث الذي يقع بعده، وهذا الضمير هو(ضمير الشأن أو القصة) عند البصريين و(ضمير المجهول عند الكوفيين)[٢٢]، الذي ((لا يفهم منه من اول الامر إلاّ شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما أمامه مما يفسره ويزيل إبهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن))[٢٣] وذلك يرجع الى طبيعة الضمير الذي يعد أصغر العناصر اللغوية التي تكنز الابهام المقصود للتعبير عن الدلالة في صورتين الأولى مجملة من خلال الضمير والثانية بالابانة عنه من خلال تركيب جملي يكشف عن المعنى اللاحق وبذا يعطي حرية للمتلقي في محاولته استكشاف المعنى وادخاله في حيّزالخطاب من خلال الاستفهام الذهني الذي يعترض الفكر وايجاد الروابط والصلات بين السابق المبان والمجمل الراهن وهو ادعى الى التشويق والاثارة واشعار المتلقي بأهمية الحدث الذي لا يتصور معنى له ولا تكشف دلالته الحقيقية إلاّ من خلال تركيب جملي يعقبه يفسر مضمونه ويخبر عنه بالوقت نفسه، إذن لذلك التركيب وظيفتان تختلفان من الناحية الشكلية إلاّ انهما تتفقان من الناحية المعنوية فكلاهما تسهم في الكشف والاستدلال عن المعنى للوصول الى مقاصده المتنوعة ومن ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢٤].

أردف الردع باضراب منبها، فيه على تفاحش غلطهم ـ بجعلهم لله شريكا في ربوبيته فهو جحود للوحدانية ـ ومصلحاً مذهبهم بقوله ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ابتدأت الجملة بضمير الشأن للتنبيه على عظم مضمون ما يردفه من كلام فيبقى الذهن مترقبا لما يفسره فجاءت جملة الخبر المؤلفة من المبتدأ(الله) والخبر (العزيز الحكيم) لتؤدي هذه الوظيفة البيانية الافصاحية، وقد ابتدأت بلفظ الجلالة (الله) وهو علم على الذات العلية قصد استحضار جميع صفاته عند التخاطب[٢٥]، ثم خصّ هذين الوصفين لأنه لو لم يكن عزيزاً بل كان

بحيث يُغلب ويمنع ـ جلّ شأنه ـ لما صحّ احتياج كل شيء له ولو لم يكن حكيما لحصل نقص لكل ما يفعله، وهذا ينافي الواقع والبرهان ولما ثبت عليهم الدليل لزم عند ذلك التوحيد وبطل الشرك على وفق الحكمة التي هي: إصابة الحق بالعلم والعقل.

قد تتجاوز وظيفة (جملة الخبر) المفسرة لضمير الشأن الحدود السياقية والترتيب الخطي للجمل مؤلفة بؤرة دلالية تنبثق منها معان ترتبط بالمضمون الأساس الذي يستعرضه الحدث فتشكل تلاحما دلاليا ومرتكزا حيويا تلتقي فيه عناصر الخطاب القرآني المتمثل في قوله تعالى ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يا وَيْلَنا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا بَلْ كُنَّا ظالِمِينَ﴾[٢٦] فالآية تصوير لمشهد الكافرين يوم القيامة بأبلغ تمثيل وأشده، وقد شخص(الوعد) من خلال اقترانه بفعل يدل على التقدم والحدوث المرئي المنطوي على دلالة امكانية الحدوث بعد ترقب، إذ لابدّ من امتداد زماني متواصل متأت من الصيغة الزمنية الماضية للفعل (اقترب) لتأكيد حضور الحدث، واسناده الى دلالة معنوية تحمل في طياتها صورا عديدة يمكن أن تتحقق فقال: (واقترب الوعد الحق) وقد عبرت عنه (الفاء) حيث ((أفادت الترتيب في المعنى ويكون المعطوف ملاحقا متصلا بلا مهلة))[٢٧] فضلا عن اقتران الفاء بـ (إذا) يعطي دلالة سرعة حصول الأمر بلا تدرج، ثم جيء بضمير الشأن ليحصل للسامع علم مجمل يفصله ما يفسر ضمير القصة، جملة الخبر (شاخصة أبصار الذين كفروا) لرسم صورة ذلك اليوم العسير لأن ((القيامة إذا قامت شخصت أبصار هؤلاء من شدة الأهوال فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم من توقع ما يخافونه))[٢٨] وفي بناء الجملة المفسرة على الاسمية للدلالة على ثبوتهم على هذه الحالة مدة طويلة تناسب ما رأوه من أهوال.

٤.جملة المفعول به بعد ألفاظ تحمل معنى القول:

يعد المفعول به من متعلقات الجملة التي تتألف من العمدة التي تعد أساس التركيب وتتألف من المسند والمسند اليه وتتضمن حكما عاما مطلقا غير مقيد مستفادا من علاقة الإسناد المجرد إما الفضلة فإنها تبرز بكونها عنصرا تكميليا للمعنى الأساس لا البنية الأساسية[٢٩]، حيث إن كل ما يزاد على العمدة لتوسيع المعنى وتوضيح القصد يسمى فضلة وتدخل فيها صيغ عديدة كلها تؤدي وظيفة توجيهية بيانية لترسيخ المعنى وتأكيد حضوره وتفاعله في السياق وتؤلف وحدة مترابطة مع الركن الأساس للجملة (العمدة) لتحقيق الغاية الجمالية والفنية فضلا عن المهام الاخبارية التي تعد من أهم وظائف العمدة، وبذا تؤدي الجملة المحكية وظيفة المفعولية ولكنها قد تدخل في مفهوم التفسير وعلّة ذلك إن تواردات مفردة (القول) مبهمة تتطلب استدراجا بيانيا يزيل معنى الاجمال الذي تحمله، وهذا جوهر الجملة التفسيرية فإنها بذلك تخرج من الاطار القواعدي البحت الى مفهوم عام يؤدي دوره في إطار محدد لغاية فنية جمالية فيتحول المدلول من خطاب عقلي نحوي الى نفسي تأثيري لتحقيق وظائف لغوية خاصة ككشف ابهام وغموض يكتنف الجملة من ذلك يبدو واضحا ان لجملة المفعول به وظفتين (نحوية هي المفعولية ودلالية هي التفسير)ولها في القرآن الكريم خصوصية نابعة من طبيعة النص القرآني المعجز، إذ تشتمل وظيفة بيانية توجيهية على الصعيد الظاهر للمعنى ووظيفة إعجازية إبلاغية وقد اتضح ذلك في قوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾[٣٠].

فمحور الآية يدور في (وقت قيام الساعة) وهو سؤال صادر عن المشركين ولم يكن سؤالهم الا استهزاء واستخفافا وقد ورد بصيغة المضارع للدلالة على تجدد هذا السؤال وتكرره منهم والفعل (سأل) من الألفاظ التي تحمل

معنى القول فالسؤال لا يتحقق إلاّ بالقول، والمعرفة استجابتها من اللسان[٣١] فـ (يسألونك) فعل مبهم لأنه متسع الأوجه من الأقوال وهو مفهوم عام، فكانت الجملة (أيان مرساها) قرينة لفظية قربت خيارات المعنى ومحاولات التوقع لتلك المعاني فهي إفصاح عن مضمون السؤال واحقيته وإعراب عنه، وقد تصدر السؤال بـ (أيان) التي تستعمل في مواضع التفخيم، غير انها مستعملة في كلام محكي عن انسان لا يقر بيوم القيامة، ربما كان ذلك زيادة في الاستهزاء منه، أو هو راجع الى شدة ابهام ذلك اليوم عنده، إذ ان النون فيها زائدة ((اما (أيان) بفتح الهمزة فـ (فُعلان) وبكسرها (فِعلان)، و(النون) فيهما زائدة حملا على الأكثر في زيادة النون في نحو ذلك))[٣٢] وزيادة اللفظ يدل على زيادة المعنى، أما علة وقوعها ظرفا وسؤالا عن نفس الزمان أي يوم القيامة هو كون يوم القيامة ملحقا بالأزمنة فيسأل عن زمان وقوعه، وقد عُبر عنه بـ(المرساة) لثقلها وعظمتها، فالمرساة انجر السفينة الذي لضخامته يثبت السفينة ويرسيها[٣٣]، وأن مرسى السفينة مستقرها أي: متى يقيمها الله ويثبتها[٣٤].

وقد تحتمل الجملة المفعولية أي في محل نصب مفعول به للفعل (يسألونك) ومهما يكن فـ ((إن وجود المفعول به في الجملة يؤدي الى حصر حدث الفعل فيه دون غيره لذا يعد مقيدا للحدث))[٣٥]، والتقييد هو أحد الأدوات اللغوية للتفسير، وبذا تعاضدت البنية النحوية والمعطيات الدلالية للوصول الى قصدية الحدث في تحقيق زيادة معنوية أو إضافة دلالية أو ترابطية، ويبدو ذلك أيضاً في قوله تعالى ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٣٦].

محور الآية الترغيب لاستمالة النفس الانسانية أن تطلب الخير وتحبه، والنبأ هو: ((الخبر ذو الفائدة العظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال للخبر حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن

الكذب))[٣٧]، فالقول لازم النبأ فهو يتحقق به وينتفي من دونه، ولعظم ما أفصحت عنه الجملة المفسرة ﴿أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ عُبر عنه بالنبأ، او قد تكون الجملة (مفعول به) خصصت فعل النبأ بدلالة (الترغيب للعباد في طاعته تعالى) لينال العناية والاهمية، وقد حقق ضمير الفصل الاعلام من أول الأمر بأن ما بعده خبر لا نعت فقضى بخبرية (الغفور) فضلا عن تأكيده للحكم وذلك لما يحققه من زيادة الربط وقصر المسند على المسند اليه[٣٨]، وبذا قصر ضمير الفصل هاتين الصفتين (الغفور الرحيم) عليه سبحانه، وهكذا تتواشج البنية النحوية مع المعطيات الدلالية للوصول الى قصدية الحدث وتوضيحه لدى المتلقي لتحقيق الفهم لديه ودفع الابهام والالتباس الذي قد يعترضه نتيجة تداخل المفاهيم واشتراكها في أداء مهمة ما.

٥. جملة الاشتغال:

المقصود بالاشتغال هو أن يشتغل الفعل عن الاسم المتقدم عليه بضميره أو ملابسه، بحيث لو تفرغ له أو مناسبه لنصبه لفظا ومحلا[٣٩]، وفي توسط الفعل بين الاسم المتقدم، والضمير العائد عليه خلاف بين النحاة.

فقد ذهب الجمهور الى أن هذا الضمير هو المفعول للفعل المذكور، وأن الناصب للاسم المتقدم فعل محذف وجوبا يفسره المذكور[٤٠]، بناء على ((أنه لا يعمل عامل واحد في ضمير اسم ومظهره))[٤١].

أما الكوفيون فقد ذهبوا الى أن الاسم المتقدم منصوب بالفعل المذكور بعده، غير أنهم اختلفوا فيما اتصل بهذا الفعل من ضمير، فقال قوم: ((إن الضمير ومرجعه معمولان للفعل معا))[٤٢]، وقال آخرون: ((إن الضمير ملغى، وإن عمل الفعل متحدد في الاسم المقدّم عليه))[٤٣].

إن ما ذهب اليه الكوفيون لا يستقيم في نحو قولهم: (سعيدا مررت به) لأن

الفعل (مرّ) لا يصح أن ينصب الاسم المتقدم، كما لا يصح أن يُلغى الضمير المجرور لأن الفعل لا يتعدى اليه الاّ بالحرف، كذلك لا يستقيم ما ذهبوا اليه في نحو قولهم (زيدا هدمت داره) لانه لا يصح أن يتسلط الفعل على الاسم المتقدم عليه(٤٤).

وعليه فإن البحث يرجح ما ذهب اليه البصريون، والذي يهمنا - هنا - جملة الاشتغال التي تعد من الجمل التفسيرية نظرا لدورها الوظيفي في تفسير العامل المحذوف في الاسم المتقدم فضلا عن دورها في التوكيد لما تضمنه اسلوب الاشتغال من تكرار جملي حيث لا تقتصر وظيفة التكرار على التأكيد والتقرير للمعنى فحسب بل تتعدى ذلك الى غاية بيانية تتجلى من خلال تجديد الفائدة للمتكرر، حيث يخرج التكرار عن كونه اسلوبا نحويا يرمي الى القاء الحقيقة والحكم بالاخبار عنه الى اسلوب فني يعمد الى استكشاف بواطن الامور والمدلولات النفسية من خلال تجدد الفائدة و((متى تجددت الفائدة خرج التكرار... من التأكيد الى غرض آخر هو تجديد تلك الفائدة))(٤٥)، إذن تؤدي جملة الاشتغال فضلا عن التوكيد وظيفة افصاحية تفسيرية، فهما وظيفتان تمثلان وجهان لمقصد واحد يبدو ذلك واضحا في قوله تعالى ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾(٤٦)، فسرت جملة الاشتغال (خلقها) جملة محذوفة تماثلها من حيث اللفظ والمعنى تقديرها (خلق)، وإذ ما تكرر السياق ذاته في صورة أخرى مع تغيير طفيف بين كلا الصورتين المؤديتين ينبثق منها معنى جديد يضفي على المعنى الأول بعداً فنياً، فالدلالة في الآية تسير في اتجاهين: -

الأول: متضح المقاصد في التذكير بفضل الله وتعداد آلائه وتسخيره للموجودات.

الثاني: تمثل بالامتنان على المخاطبين وتعريضا بهم، فإنهم كفروا نعمة الله

بخلقها.

فلاسلوب الاشتغال أثره في بيان دلالة المقصود وادراك عملية الفهم والكشف عن الغاية الحقيقية من خلال عرض المعنى بطريقتين، الاولى كلية شمولية مجملة والثانية جزئية تفصيلية توضيحية تعطي مدلولا اوليا عن اللاحق، وبذا تُلافي المفاجأة وحدوث إنحراف في مسار المعنى كقوله تعالى ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾(٤٧).

الآية متصلة بما قبلها وواقعة تحت حكم عام يتمثل في بيان قدرة الله لاعلان الايمان المطلق له والاقرار بوحدانيته التي لا يمكن انكارها بعد كل هذه الأدلة والبراهين، بقرينة أداة المشاركة والتغيير المتمثلة بحرف العطف (الواو) المبدوء بها السياق إلا ان التباين جاء في نوع الجنس المبين لتلك القدرة (القمر) وقد فسرت جملة الاشتغال (قدرناه) جملة محذوفة بتقدير(قدرنا) فدلالة الجملة الأولى تشير الى معنى ظاهري متمثل بأن الله قدّر للقمر نظاماً محكماً يسير بموجبه ثم فسرت جملة الاشتغال هذا النظام وهو ان للقمر في كل يوم من الشهر مرتبة تختلف عما قبلها وبعدها من حيث قوة وضعف نوره وعلّة هذا التقدير هو معرفة الناس عدد السنين والحساب حيث ان معرفة اليوم بعد اليوم مؤداه الى معرفة الشهر ثم الشهور وأخيراً معرفة السنة والسنين(٤٨)، وهكذا كان للاشتغال وظيفة توجيهية للمعنى المجمل وتأكيده لتعزيز حقيقة ثابتة راسخة لا مجال لدحضها أو مناقشتها فألزموا الحجة من خلال تقديم الدليل والبرهان الفعلي لهم.

الخلاصة:ـ

إن دراسة الجملة القرآنية ذات الاتجاه الدلالي المحددّ خطوة رائدة في تأسيس منهج وصفي يتجاوز مستوى الصوت المفرد والمفردة الواحدة

ليستوعبهما في حدود الجملة، لذا تعد دراسة الجملة القرآنية اختزالا للمستويين السابقين لأنها تتضمنها في أثناء تحليلها.

وللجملة التفسيرية في القرآن الكريم خصوصية موضوعية نابعة من الوظيفة التي تؤديها في اضافة عوالم جديدة للنص، فهي المركب الاسنادي المتسم بالافادة المعنوية، مشروطا فيها الايضاح لمبهم في جملة سابقة، سواء أكان الابهام ناتجا عن استغلاق دلالة مفردة ما، أم عن ابهام دلالة الجملة مجتمعة، وعلى هذا فهي المرادف المعنوي لما تفسره، إذ تقتضي التعبير عن مدلول ما بصياغة تعبيرية جديدة، وان الحكم على الجملة بالتفسير يعتمد على ما تقوم به من دور وظيفي من دون النظر الى الموقعية الاعرابية التي تعد مسألة شكلية حسب.

الخاتمة:ـ

وبعد أن طَويت صفحات هذا البحث، أُلخّص، أهم نتائجه، على النحو الآتي: -

١. يعد التفسير عدولا كميا يقوم على أساس وجود طرفين حيث يحمل الطرف الأول الخبر ذا الفائدة الجديدة ويأتي الطرف الثاني موضحا له.

٢. للجملة التفسيرية في القرآن الكريم خصوصية موضوعية نابعة من الوظيفة التي تؤديها في إضافة عوالم جديدة إلى أجواء النص فهي أسلوب من أساليب الوقوف والاستذكار و التدبر.

٣. الجملة التفسيرية مصطلح وظيفي، فهو مشتق من الوظيفة البيانية الافصاحية التي تؤديها هذه الجملة، أما قصر المصطلح على قسم خاص من الجمل التي لا محل لها من الاعراب فهي نظرة تمثل الناحية الشكلية والموقعية الدالة على حقيقة الجملة المفسرة لا على الوظيفة الحقيقية لها والحق ان لهذه الجملة فوائد دلالية واسلوبية تفوق ما توحي به تسميتها.

٤. يؤدي عدد من الجمل فضلا عن دورها الوظيفي من خلال كينونتها المستقلة وظيفة التفسير مما يفسح لها مجالا للدخول في دائرة المصطلح ومما يعطي مشروعية لجمع هذه الجمل التي تؤدي الغرض ذاته وعدها جملا تفسيرية مع احتفاظ كل منها باستقلاليتها الذاتية ضمن الباب النحوي المشتقة منه، كالجملة المفسرة لضمير الشأن (فهي خبر له)، والجملة الواقعة بعد فعل يرادف فعل القول (فهي في موقع مفعول به) والجملة المفسرة في باب الاشتغال التي تتعاضد وظيفتها التفسيرية مع التوكيد.

٥. إن العلاقة المعنوية بين الجملة المفسرة وجملتي الحال والبدل تنبثق من مفهوم كل منها، فالجملة الحالية مبينة لهيئة صاحبها وجملة البدل مبينة للمبدل منه، وهذا البيان هو جوهر الجملة التفسيرية، وقد ترتبط بأواصر أخرى تتعدى حدود المشاركة المعنوية الى الترابط السياقي.

Abstract

The study of Qur'anic phrases with semantic direction specified a pioneering step approach to establish a descriptive syllabus exceeding level of single volume and single word to be contained within the sentence , so this study of Koranic sentence shorthand for the former two levels included in the course of analysis .

The explanatory phrase in the Koran has privacy objectively derived from career that used for addition new horizon to text , so it is supported complex that characterized by meaning benefits in which there is explanation for previous vague phrase, whether this ambiguity resulted from specific phrase, or whole sentence, so it is a meaningful synonymous for that interpretation, the explanation of sentence depend on the career role from the interview of grammar situations that considered formal issue .

هوامش البحث

(١) موصل الطلاب الى قواعد الاعراب:٦٠/١، وظ: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد:١١٣، ومغني اللبيب عن كتب الاعاريب: ٥٢١/٢.

(❖) وهي موضع اهتمام البحث، لان الجملة التفسيرية بانواعها وبنيتها التركيبية وقفت عندها دراسة مستقلة هي: الجملتان التفسيرية والاستئنافية في القرآن الكريم ـ دراسة دلالية ـ.

(٢) موصل الطلاب الى قواعد الاعراب: ٦٤/١، وظ: مغني اللبيب: ٥٢٦/٢.

(٣) اعراب الجمل واشباه الجمل: ١٧٨.

(٤) ظ: شرح المفصل: ٢/ ٦٥، وارتشاف الضرب: ٢/ ٣٦٣-٣٧١.

(٥) الاعراف: ١٥٠.

(٦) البحر المحيط: ٤٧٥/٥، وتفسير ابي السعود: ١٢٠/٥.

(٧) الحشر: ٢.

(٨) مفردات الفاظ القرآن: ٣٥٦.

(٩) م. ن: ٣٠٣.

(١٠) اوضح المسالك: ٣٩٨/٣، وظ: حاشية الصبان: ١٢٣/٣.

(١١) ظ: المفصل في علم العربية: ١٢٢.

(١٢) ظ: النحو القرآني: ٥٠٠.

(١٣) ارتشاف الضرب: ٦١٩/٢.

(١٤) ظ: توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك: ٢٤٦/٣، وشرح شذور الذهب: ٤٤٠.

(١٥) ظ: حاشية الشنواني: ٧٦/١-٧٧.

(١٦) الايضاح في علوم البلاغة: ١٥٦.

(١٧) البقرة: ٤٩.

(١٨) الاسس النفسية لاساليب البلاغة العربية:١١٣.

(١٩) الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٢٠) التعبير القرآني: ١٣٦.

(٢١) تفسير ابي السعود: ٥/ ١٦٤.

(٢٢) ظ: شرح المفصل: ١١٤/٣.

(٢٣) ارشاد العقل السليم: ٦ /٤٨٧.

(٢٤) سبأ: ٢٧.

(٢٥) ظ: التحرير والتنوير: ٣٠ /٦١٣.

(٢٦) الانبياء: ٩٧.

(٢٧) الجنى الداني: ٦٣.
(٢٨) التفسير الكبير: ٢٢ /٢٢٢.
(٢٩) ظ: بنية الجملة في اللغة العربية: ٤١.
(٣٠) النازعات: ٤٢.
(٣١) مفردات الفاظ القرآن: ٤٣٧.
(٣٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها: ٤٠٦.
(٣٣) ظ: الاتقان: ٢ /١٨٢.
(٣٤) ظ: لسان العرب: (رسا).
(٣٥) الاطلاق والتقييد: ١٥٠.
(٣٦) الحجر: ٤٩.
(٣٧) مفردات الفاظ القرآن: ٧٨٨ ـ ٧٨٩.
(٣٨) ظ: حاشية الصبان على شرح الاشموني: ١ /٢٨٣.
(٣٩) ظ: شرح الكافية في النحو: ١ /٧٥.
(٤٠) ظ: الكتاب: ١/ ٤٢ ـ ٤٣، وشرح الكافية في النحو: ١٧٦/١.
(٤١) شرح ابن عقيل: ٢ /١٣١.
(٤٢) شرح ابن عقيل: ٢ /١٣١، وشرح التصريح على التوضيح: ٢٩٧/١.
(٤٣) م. ن: ٢ / ١٣١.
(٤٤) ظ: شرح ابن عقيل: ١ /٥١٨، وشرح التصريح على التوضيح: ١ /٢٩٧.
(٤٥) اصول تحليل الخطاب: ٢ /٧٦٩.
(٤٦) النحل: ٥.
(٤٧) يس: ٣٩.
(٤٨) ظ: التحرير والتنوير: ١٢ /٤٠.

قائمة المصادر والمراجع

١. الاتقان في علوم القرآن: للحافظ جلال الدين السيوطي(٩١١هـ)، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية ـ بيروت، (١٩٨٨).

٢. ارتشاف الضرب من لسان العرب: ابو حيان الاندلسي(٧٤٥هـ)، تح: د. مصطفى النحاس، مطبعة المدني ـ القاهرة، ط: ١(١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م).

٣. ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم: قاضي القضاة الامام ابو السعود محمد بن محمد العمادي(٩٥١هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، (د. ت).

٤. الاسس النفسية لاساليب البلاغة العربية: د. مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط: ١(١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م).

٥. اصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس (نحو النص): محمد الشاوش، كلية الاداب، المؤسسة العربية للتوزيع ـ تونس، ط: ١(١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م).

٦. اعراب الجمل واشباه الجمل: د. فخر الدين قباوة، مطبعة: دار الافاق الجديدة ـ بيروت: ط: ٣(١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م).

٧. اوضح المسالك الى الفية ابن مالك: ابو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الانصاري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المطبعة: السعادة ـ مصر، ط: ٤(١٩٥٦).

٨. الايضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع): جلال الدين عبد الله محمد بن سعد الدين القزويني(٧٣٩هـ)، مطبعة: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط: ١(١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٩.البحر المحيط: اثير الدين ابوحيان عبد الله علي الاندلسي، مطبعة: النصر، الرياض ـ السعودية، (د. ط) (ب. ت).

١٠. بنية الجملة في اللغة العربية: عبد الحميد مصطفى السيد، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد: ١٥، العدد: ٨، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

١١. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور: الدار التونسية للنشر، (د. ت).

١٢. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ابن مالك(٦٧٢هـ)، تح: محمد كامل بركات، مطبعة: دار الكاتب العربي ـ القاهرة، (١٩٦٧).

١٣. التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، مطبعة: دار الحكمة ـ بغداد (١٩٨٩).

١٤. التفسير الكبير: للامام الرازي (٦٠٦هـ)، مطبعة: دار الكتب العلمية ـ طهران، ط: ٢(د.ت).

١٥. الاطلاق والتقييد في النص القرآني: سيروان عبد الزهرة هاشم الجنابي، رسالة ماجستير، كلية الاداب ـ جامعة الكوفة (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م).

١٦. توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك: تح:عبد الرحمن علي سليمان، مكتبة الكليات الازهرية ـ القاهرة، (د. ط) (١٩٧٩م).

١٧. الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن القاسم المرادي، تح: طه محسن، دار الكتب للطباعة والنشر ـ جامعة الموصل، (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م).

١٨. حاشية الشنواني على شرح مقدمة الاعراب: ابو بكر بن اسماعيل الشنواني (١٠١٩هـ)، تح: محمد شمام، مطبعة النهضة ـ تونس، ط: ٢(١٣٧٣هـ).

١٩. حاشية الصبان على شرح الاشموني علي الفية ابن مالك: الشيخ محمد بن على الصبان الشافعي (١٢٠٦هـ)، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط: ١(١٩٩٧).

٢٠. شرح ابن عقيل: بهادر الدين عبد الله بن عقيل(٧٦١هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ـ مصر، ط: ١٤(١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤).

٢١. شرح التصريح على التوضيح: خالد الازهري (٩٠٥هـ)، مطبعة البابي الحلبي، (د. ت).

٢٢. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: ابو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام(٧٦١هـ)، تح: محمد محيي الدين، مطبعة السعادة، ط: ٨(١٩٦٠).

٢٣. شرح الكافية في النحو: رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي(٦٨٦هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٢٤.شرح المفصل: موفق الدين يعيش بن على بن يعيش النحوي(٦٤٣هـ)، عالم الكتب ـ بيروت، (د. ت).

٢٥. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها: ابو الفتح عثمان بن جني(٣٩٢هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط: ١(١٩٩٨).

٢٦. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: ابو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الانصاري (٧٦١هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ـ بيروت، (١٩٨٧).

٢٧. مفردات الفاظ القرآن: العلامة الراغب الاصفهاني(٤٢٥هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، طليعة النور ـ قم، ط: ٢(١٤٣٧هـ).

٢٨. المفصل في صنعة الاعراب: ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(٥٣٨هـ)، تح: د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت، ط: ١(١٩٩٣).

٢٩. موصل الطلاب الى قواعد الاعراب: خالد بن عبد الله الازهري (٦٥٠هـ)، تح: عبدالكريم مجاهد، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط: ١(١٩٩٦).

٣٠. الكتاب (كتاب سيبويه): ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ط: ٢(١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

٣١. لسان العرب: محمد بن كرم بن منظور(٧١١هـ)، دار صادر للطباعة والنشر ـ بيروت، ط: ١ (د. ت).

٣٢. النحو القرآني قواعد وشواهد: د. جميل احمد ظفر، مكتبة مكة المكرمة، ط: ٢(١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م).